الملتقى الوطني :قيم الثورة الجزائرية من التحرر الوطني إلى الإشعاع العالمي .

د/ فتيحة غزالي

جامعة الأمير عبد القادر العلوم الإسلامية

قسنطينة

عنوان المداخلة :سلطة الذاكرة والثورة في السرد النسوي الجزائري

محور المداخلة :رمزية الثورة الجزائرية في الآداب والفنون الوطنية و الدولية

ملخص

مازال موضوع الثورة التحريرية الكبرى مهيمنا على المشهد السردي الجزائري ويغزو متونه الحديثة والمعاصرة على الرغم من مرور الزمن وتعاقب الأجيال ،فهو حجر الزاوية في تلك النصوص المشبعة بالتاريخ والنظال و الوطنية .وللسرد النسوي نصيب وافر من هذا النفس الثوري البطولي الذي ألهم العالم بأسرة .وقد وثق القلم النسوي الجزائري منذ يفاعته وهج الثورة وتفاصيلها ،وما يزال ينهل من تفاصيلها الملهمة نصوصا إبداعية مؤهلة للعالمية وينسج لها خلودا سرديا على غرار كتابات؛ كاتب ياسين ،مولود معمري ومحمد ديب ،الطاهر وطار وواسيني الاعرج وأحلام مستغانمي وغيرهم .

ونحاول من خلال ورقتنا البحثية الموسومة :سلطة الذاكرة و الثورة في السرد النسوي الجزائري ، الإجابة على جملة من التساؤلات في هذا المجال السردي أ همها ؛ كيف عبر الخطاب النسوي الجزائري بتيمة الثورة؟ وكيف

استثمرها في متونه السردية؟،ومالجديد الذي تقدمه من خلال العودة إلى زمن الثورة الكبرى؟ .وما علاقة ذلك بالواقع ؟

وسنركز في دراستنا على ثلاث روائيات جز ئريات كتبن الثورة خلودا سرديا في متونهن القصصية والروائية،وهن ،زهور ونيسي،جميلة زنير ،وأحلام مستغانمي ،ونبين من خلال أعمالهن وجهات نظرهن وطريقة كل واحدة في تقديم الثورة في النص السردي

abstract

The theme of the Great Liberation Revolution still dominates the Algerian narrative scene and invades its modern and contemporary texts despite the passage of time and the succession of generations. It is the cornerstone In these texts, saturated with history, struggle and patriotism, the marketing narrative has a large share of this heroic revolutionary spirit that inspired the entire world. The Algerian feminist pen has documented the glow of the revolution and its details since its youth, and it continues to do so.

.Through our research paper entitled: The Power of Memory and Revolution in Algerian Feminist Narrative, we attempt to answer a number of questions in this narrative field, the most important of which is: How did Algerian feminist discourse express the revolution? And how did it exclude it in Its narrative texts?What new things does it offer and what new things does it offer by returning to the time of the Great Revolution? And what is the relationship between that and reality?

In our study, we will focus on three Algerian novelists who wrote the revolution as a narrative immortality in their short stories and novels. They are Zahour Ounissi, Jamila Zeneir, and Ahlam Mosteghanemi. Through their works, we will show their points of view and the way each of them presents them. They are

1-واقع القص وهاجس الكتابة

لقد استهوى فن الكتابة القصصية الكثير من الكتاب والكاتبات، فراحوا ينسجون خيالاتهم بين ثناياه متفاعلين بما جادت عليه قرائحهم الإبداعية في مطاردة الحكايا والسرود لتصنع عالمهم الخاص المكتحل بواقعيته وخياله المقصود، والقاص مبتدئا كان أو متمرسا عليه أن يبقى وفيا لهذه الكتابة الإبداعية التي تضمن له الخلود والاستمرارية ولا يشرك معها أوثانا أخرى سرعان ما تنهد وتتلاشى، لتبقى القصة وحدها تقاوم الدهر وعبثية الزمن، تكبر وتشيخ وتشارف على الانقراض لكنها سرعان ما تُبعث من جديد في ثوب قشيب يتوهج إبداعا ويتسع ويتمدد لأزمنة لاحقة.

إنّ الكتابة القصصية هي احتواء للهم الإنساني وبحث دائم عن الأسئلة الملحة التي تؤرقه في شتى الميادين من أجل النهوض بالواقع وإيجاد الحلول المناسبة للخروج من الأزمات الخانقة التي ابتليت بها البشرية، وكلما غاص الأديب في سراديب الواقع الإنساني ومسكوتاته يستجلي ألغازه المحيرة كان نصيبه أكبر من الوهج والإبداع.

الكتابة القصصية إذن اكتواء بنار الواقع ومكابدة من أجل النهوض به وليست إصغاء للذات وغوص في دواخلها مترامية الأطراف ورصد للأنا الغارق في محراب الغرائز والهواجس والشهوات[1]، والكاتب الناجح هو الذي يعرف كيف يستثمر معطيات الواقع، فيغرف منه مادته الخام وينسج بها لحمة نصه ويربطه بقرائه المفترضين من خلال أسئلته التي تشكل جزءا أساسيا من هوية المنظومة الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها، ولا يعني ذلك أنه يستنسخ الواقع كما هو وينقله بحرفيته المملة بل على العكس من ذلك، فهو يجعل منه مرجعا وسندا لصناعة عالمه القصصي الموحي الذي يجعل القارئ يتلقفه بدهشة الطفل الصغير وهو يقابل الحياة ويصطدم بواقعه لأول مرة.

إنّ الواقع في نص القاص هو واقع جديد متغير تماما، له أنساقه الخاصة التي بنيت على أنقاض ما تمّ هدمه وتمثل أسئلته وقضاياه بلمسة سحرية جمالية لها خصوصيتها في تحويل عالم الواقع إلى عالم النص

[1] إبراهيم الحجري ،القصة العربية الجديدة،(مقاربة تحليلية)،ط1،دار المحاكاة،دمشق ،سوريا،2013،ص11،14.

" وإذا كان للواقع فلسفته وأناسه ومتغيراته المتحولة والثابتة، فإن للنص أيضا عناصره التي قد تقابل مثيلاتها فيه أو تعارضها أو تشابهها، لكنها حتما ليست هي نفسها، فالكاتب له هذه القدرة التحويلية الخارقة التي تجعل من كائنات مألوفة أشياء جديدة تحرك في مخيلة القارئ أحاسيس لم تراوده من قبل حتى وإن كان يراها عشرات المرات يوميا مثل هذه الأشياء والمواقف دون أن تؤجج فيه الشعور نفسه ودون أن تستفز فيه الانتباه المشابه"[2]

ولا شك أنّ القاصة الجزائرية شأنها شأن باقي قصاصي العالم تنطلق من واقعها ومن أسئلته الكثيرة التي تؤسس لعالمها التخييلي ومن جملة العناصر التي تستلهمها من صميم واقعه نجد أسماء الشخصيات والأمكنة وبعض الوقائع والأحداث التاريخية التي وقعت فعلا في أزمنة محددة، كما تنهل من واقع اللغة الاجتماعية وتستلف مصطلحاتها ووظائفها التواصلية وبعض الأمثال والحكم والقصص الشعبية والأغاني... وغيرها، مما يؤجج تجربة الكتابة لدى القاصة الجزائرية فتمّحى ذاتها في الذات الجماعية وتتمثلها بلا حدود مجسدة جل رغباتها ومطامحها مصورة خيباتها وخذلانها، وعليه فالأسئلة التي يجب أن تبني على أساسها القصة الجزائرية المعاصرة ليست أسئلة تقرأ الواقع في واقعيته البسيطة فحسب وإنما لابد لها أن تسبر أغواره وتتمثله من خلال عناصره البنائية ووظائفها الفكرية والجمالية والتي تشيد لحمة النص القصصي.

2 الوعي الثوري والسردية النسوية:

شكلت الثورة التحريرية الكبرى نقطة انعطاف مهمة في رؤيا وبناء الخطاب السردي الجزائري ،فقد ظلت الثورة هي المرجعية الأيدولوجية والفنية التي ينطلق منها أغلب الروائيين والقصاصين الجزائريين الذين كتبوا باللغة العربية والفرنسية [3] ، سواء في زمن الثورة أو بعدها ، إذ ما يزال وهجها يوقد الكتابة السردية الجزائرية إلى أجل غير مسمى ،فيتمثل كل كاتب هدة الثورة المقدسة بحسب زاوية الرؤية التي يطل بها على الواقع التاريخي؛ولكل أدواته ومبرراته،فكل

---

[2]المرجع نفسه ،ص24.

[3]علال سنقوقة:إشكالية السلطةفي الرواية الجزائرية ،مخطوط ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر1997،1996،ص 27

جيل ينظر إلى هذه الثورة من زاوية تختلف عن الجيل الآخر ، وعلى هذا الأساس تقدم عناصر البناء السردي؛ من مكان وزمان وشخصيات ،سواء كانت واقعية أو من نسيج التخييل.

وهي الوجهة الفنية التي تبناها السرد النسوي في الجزائر في رحلته الطويلة نحو تحقيق الذات وتقديم المألوف والمغاير للتعبير عن واقع يتغير بسرعة ،ويخضع دوما للذاكرة الثورية التي تأبى الانغلاق والتقادم أو التلاشي،ولئن شهد هذا النمط التقليدي تقلصه ثم غيابه تدريجيا في المتون السردية المغربية والتونسية والليبية معلنا عن ولادة أنماط أخرى أكثر واقعية ، فإنه بقي مهيمنا في الكتابة السردية الجزائرية لحد الآن[4] "حيث لا يزال موضوع ثورة التحريرية يمثل مصدر إلهام للروائية والقاصة الجزائرية " [5]،وبحكم طبيعة المرأة الجزائرية المكافحة التي لبت نداء الثورة وخاضت معاركها بكل ضراوتها ، لم تنثن في التعبير عن آلامها وقهرها مما رأته وعاشته في رحلة كفاحها بالأمس ضد القوى الاستعمارية المعادية ، واليوم في معركة البناء والتشييد .

لقد استلهمت المرأة المثقفة ما عاشته زمن الثورة التحريرية الكبرى وما رأته أو سمعت عنه من أهوال المواجهة بين فلول جيش التحرير الوطني ، والعساكر الفرنسية الهمجية ،وحولت تلك التجربة العصية على النسيان واقعا تخييليا يحاكي ما كان بالأمس واقعا مفروضا، يصور فصول المرحلة حينا ويبحث في المستقبل حينا آخر ،تنتقد السياسة الاستعمارية وتنقل مآسي رحلات الفناء ومواكب الشهداء ،ثم تستعرض سياسة ما بعد الاستقلال وخيبات الأمل وحسرة المثقفين ومراكب الهجرة والتهجير وتكميم الأفواه وتزييف الحقائق باسم الحرية والديمقراطية ،كل هذا وزمن الثورة هو المهيمن على سرديتها وشخوصها ،"لقد برهنت الحرب حقا على أنها كانت الفترة الذهبية لتاريخ المرأة الجزائرية ،إذ في أعقاب اندلاع الثورة ظهرت تغيرات مفاجئة شاملة وبعيدة المدى في وضعية المرأة " [6]

لقد حملت المرأة المثقفة هم الأرض والوطن ؛فكتبت عن كل ذلك بروح شفافة وعاطفة جياشة ،وتراوحت الكتابة السردية النسوية بين الواقعية والانتقادية ،ولعل الأديبة القاصة زهور ونيسي أهم الأقلام النسوية التي جعلت الثورة موضوعها الرئيس وقضيتها الأساسية ،فكتبت زمن الثورة وما بعدها،وسارت على نهجها جميلة زنير وأحلام

---

[4]بن جمعة بوشوشي ؛التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، ط1،المغاربية ، تونس ،2003،ص24.

[5]المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[6]بامية عايدة أديب :تطور الأدب القصصي الجزائري (1925.1967)، محمد صقر،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت ، ص .205

مستغانمي ، وكل لها أدواتها وخطابها ورؤيتها في التعبير عن حكاية التاريخ البطولي المجيد ،الذي ألهم العالم وغير موازينه .

-3/سلطة الذاكرة الثورية في قصص زهور ونيسي

يتشكل المخطط المعماري للكتابة القصصية عند زهور ونيسي وفق نظام عناويني دقيق يشاكس المتلقي ويلقي بظلاله الدلالية في المخيلة التاريخية الثورية الجزائرية التي تختزل قصة مرحلة تاريخية مهمة تربط السابق باللاحق، ولا غرو في ذلك فالكاتبة زهور ونيسي من صلب الثورة عاشت تمفصلاتها واقعا وفنا، فتمثلت الواقع الثوري للجزائر وامتطت صهوة الفن القصصي معلنة ولاءها لتيمة الخلود السردي الجزائري التي لازمتة طوال عقود من الزمن ولا يزال وهجها الفني ممتدا في المخيلة السردية والشعرية العربية والعالمية.

إن الثورة الجزائرية الكبرى هي منطق القص عند زهور ونيسي، و يظهر ذلك بجلاء في إنتاجها القصصي الذي غلبت عليه هذه التيمة ، فقد حاولت في مجاميعها القصصية الموسومة :"عجائز القمر "و"على الشاطئ الآخر "و " روسيكادا " ويوميات مدرسة حرة ، ورواية لونجة والغول تسليط الضوء على الثورة وانعكاساتها على المجتمع الجزائري الذي ظل يكافح ويناضل لاسترجاع أرضه والحصول على حريته،فصورت فاطمة وهي تدافع عن شرفها بكل جرأة وشجاعة وتصد مطامع الخونة والمندسين للنيل منها ،"سرعان ما تجرأ أحدهم وتقدم من فاطمة التي وقفت قرب الباب ...كان العجل الذي أبطره العلف وبعد أن كان لايشبع أبدا فصدته فاطمة بعنف وابتعدت ..كم أصابته لسعة نار حارقة إنها لجرأة كبيرة منه ".[7] وبذلك صورت المرأة المكافحة التي عاشت الثورة بكل ثقلها وآلامها ،وكيف تحافظ على كرامة زوجها وعرضه غير مكترثة لعواقب ذلك .

ـــروسيكادا والأخريات ولعبة الخفاء والتجلي

وفي مجموعتها القصصية "روسيكادا والأخريات "تنقلنا الكاتبة من خلال قصة "بدلة العيد " إلى أجواء النظال والتضحية لأجل الوطن والحرية ،وتربط بين النظال السياسي والاجتماعي للرجل والمرأة ،وهنا يبرز الاتجاه الايديولوجي للكاتبةا لذي يقوم أساسا على حب الوطن والولاء له مهما كان الثمن باهضا ،وقد جسد ذلك السارد على لسان الفتى بامبو"ولكنني أحب وطني، قبل كل شيءآخر ،أحبه قبل نفسي وقبلك وقبل كل ما هو حولي من بشر ، والهرب في مثل هذه الظروف جبن ...وأنت تعلمين أنه لا يمكن أن أكون جبانا ..." [8]

---

[7] زهور ونيسي : على الشاطئ الآخر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،دط،1989، ص 61

[8] زهور ونيسي :روسيكادا والأخريات ط1، دار هومة الجزائر،2007 ، ، 134

وإن كانت في هذه المجموعة تحاول إخفاءها برموز وأيقونات صدّرت لها بالجهاز العناويني للمقاطع القصصية، ويبوح التركيب النحوي والدلالي بذلك، ذلك أن العنوان جاء جملة اسمية مبنية على حذف المسند إليه وعطف الفضلة على المسند وذلك ما جعل معنى العنوان ينحو منحى غرائبيا بطرح أكثر من تساؤل لم روسيكادا والأخريات بالذات؟

وإذا انطلقنا من مبدأ العنوان والنص وربطنا السابق باللاحق وأسقطنا الدلالة المعجمية عن مضمون المجموعة القصصية تنفتح أقفال النص الموازي لأن العنوان مرسلة لغوية يربطها حبل متين بالنص لحظة الكتابة ولحظة القراءة[9]

فروسيكادا هو الاسم الفنيقي القديم لمدينة سكيكدة الساحرة بمناظرها وسواحلها الممتدة على الشريط الساحلي الشرقي وهي تعني رأس المنارة، ثم إن صيغة العنوان المؤنثة التي عُطف عليها جمع المؤنث السالم لها بلاغتها في تقريب معنى النص، لما تحمله من روابط نفسية ووجدانية تؤكد دور الأنثى في التاريخ والواقع والمستقبل، فروسيكادا ما هي إلا صورة الجزائر القوية التي تخطت المحن والابتلاءات كما احتضنت الآلام والمآسي على مر التاريخ ولا أحد ينكر دور الأنثى في التاريخ الجزائري مقاومة وبناء وإبداعاً، روسيكادا حكايتي في التاريخ الحديث أغرب من حكايتك في التاريخ القديم، فلماذا لا نضع اليد في اليد، ونغسل بالدموع المشتركة أحزاننا؟ً [10]

ويمكن اختزال فكرة العنونة في المجموعة القصصية كما يلي:

---

[9] شادية شقروش: سيميائية العنوان في مقام البوح لعبد الله العشي، محاضرات الملتقى الوطني الأول: السيمياء والنص الأدبي، جامعة بسكرة، 2000، ص25.

[10] زهور ونيسي: روسيكادا والأخريات ص193. .،

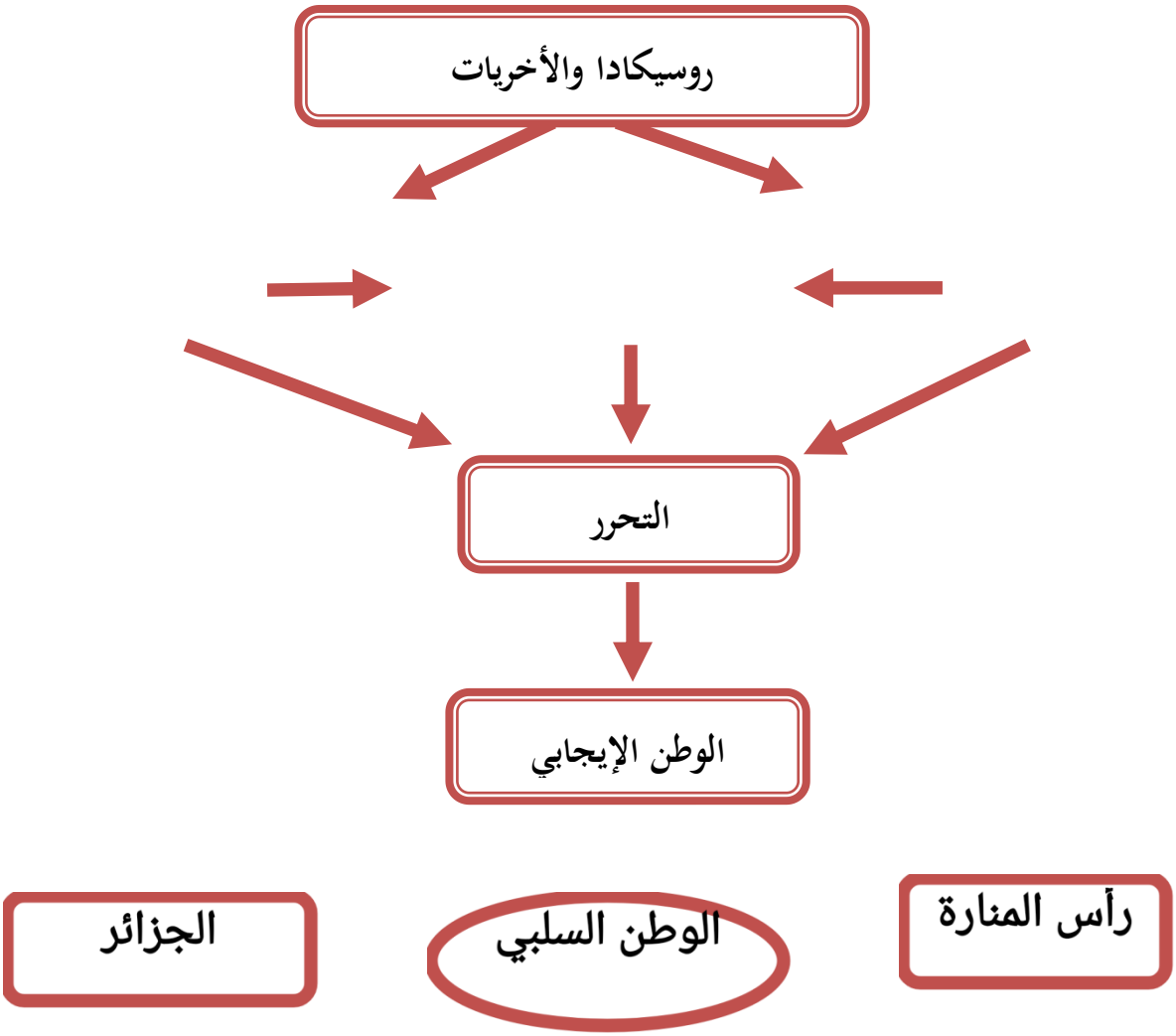
روسيكادا والأخريات
التحرر
الوطن الإيجابي
الجزائر
الوطن السلبي
رأس المنارة

الدلالة التاريخية الدلالة الرمزية

هي إذن تيمة الحرية الكلية التي جمعت شظايا المقاطع النصية لتوحدها في معنى واحد وهي أن انبعاث الوطن ووصوله للمقصدية يكون في توحيد تاريخية الماضي والحاضر دون إقصاء وانتقاص لأن الكل شريك فعلي في قيام الوطن وانعراج الأمور نحو الأفضل.

ويخفي النص القصصي لروسيكادا والأخريات متواليات عددية ركزت القاصة عليها لتؤسس لقوام نصوصها المطعمة بهاجس الثورة المنقوش في ذاكرة العالم، وتربط بين الزمن والمكان في نقش فريد لتاريخ الثورة الكبرى، ففي القصة الأولى التي افتتحت بها مجموعتها القصصية جحيم وذهب تطرح فكرة الصبر والتحدي للخروج من كل ضيق وهو الجحيم نفسه الذي كابده الجزائريون لينعموا بغد مشرق ويتمعوا بخيرات أرضهم العظيمة، ذاك الزمن المتجلي في عنوان هذه القصة هو الفاتح نوفمبر الخالد.

في حين يؤسس العنوان رقم أحد عشر لزمن آخر متعلق بشهر نوفمبر العصي على النسيان وقد اختارت القاصة عنوانها"القرية الصغيرة" فقرة لغوية دالة على تلك القرية الأوراسية النائية التي

انطلق منها صوت الثورة مع أول رصاصة، وتتجلى بعد ذلك اللحظة الحاسمة في ساعة الصفر

التي قلبت الموازين وغيرت عجلة التاريخ في الجزائر فكان الفصل بين الأمس واليوم ونهاية الخضوع والخنوع، إنها روسيكادا العنوان اللغز الذي يخفي أكثر مما يبوح في تأديته لفكرة المجموعة القصصية التي انبنت أساسا على فكرة الخفاء والتجلي.

العنوان 1بنية مكانيةالعنوان11العنوان12

بنية زمانية

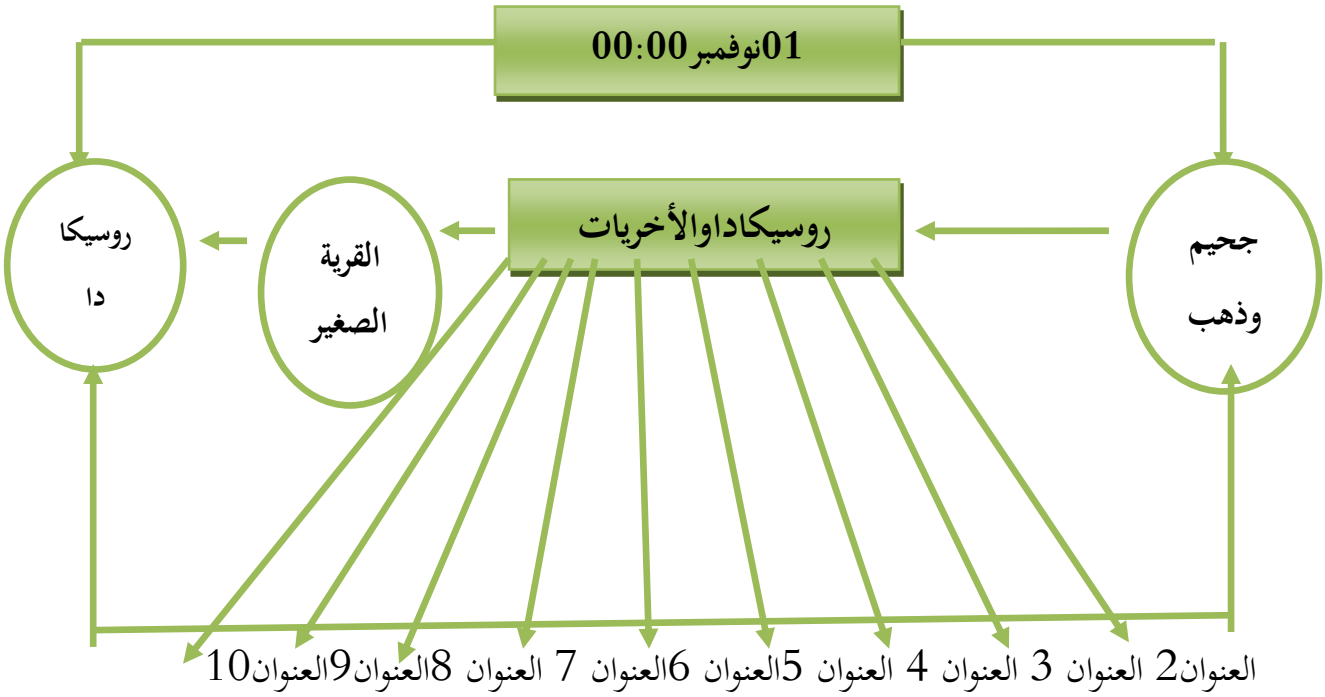

مخطط اشتغال العنونة في قصص روسيكادا والأخريات

إذن فالتجريب القصصي عند زهور ونيسي يكمن أساسا في نسج سرودها على مغازلة تيمة الثورة وربط واقع الأمن التاريخي بواقع الحياة الراهن، فهي تبحث دائما عن ذلك المركب التاريخي الذي ينسج لحمة النص المعاصر، لأن التجريب في الأساس قائم على المغامرة والبحث الدائم وبدون بحث لا يوجد تجريب[11]

ولئن شهد موضوع الثورة انحساره وتلاشيه في أغلب الأقطار العربية منذ مدة فإنه لايزال متواصلا في المتن السردي الجزائري إلى حد الآن، فموضوع الثورة التحريرية الكبرى يمثل مصدر إلهام أساسي للمبدع الجزائري[12]

4/الخلود الثوري ونسق البناء القصصي في قصص جميلة زنير

وقد استثمرت الكاتبة جميلة زنير على غرار زهور ونيسي الوعي الثوري فنيا لخلق نص قصصي يختزل الألم الجزائري ورحلة كفاحه الخالدة التي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل من خلال تركيزها على الثورة الداخلية التي جرّت الجزائر في نفق الظلمات عشرية كاملة اصطلح عليها بالعشرية السوداء(الدموية)،وهي إذ تقدم ذلك تربطه بالثورة التحريرية الكبرى وتقارن بين المنطلقات والأهداف والنتائج ؛فالعودة إلى زمن الثورة لم تكن عودة وصفية استعراضية ،بوصفها واقعا عاشه الشعب الجزائري يوما ما واكتوى بنيرانه ، بل ما خلفه الصراع السياسي من فساد جر البلاد إلى منزلقات أمنية وسياسية خطيرة ،أشد وطأة من الثورة الأم في حد ذاتها .

إن الثورة الثانية أشد قسوة وإيلاما من الثورة الأولى نفسيا واجتماعيا وسياسيا، لضبابية الرؤية وصراع الإخوة وغياب الهدف والوجهة، فقد وجد الفرد الجزائري نفسه وجها لوجه مع إرهاب دموي هزّ استقراره وقض مضجعه، وطبع الخوف على كل دروبه ومشاكله، خاصة وأنه يختار خيرة المثقفين والوطنيين والشرفاء الذين رهنوا حياتهم لأجل الأرض والوطن، وتنقل الكاتبة تفاصيل هذا الوجع وألم الفقد في مجموعتها القصصية أسوار المدينة من خلال قصة " تسع رسائل إلى الراحل سي الطيب، وهو بطل القصة ومحرك الوجع والفاجعة فيها بعد ما طالته يد الغدر ومن معه من الشرفاء، وهم يؤدون مهامهم النبيلة، " أيها المسافر الصامت في ليلة الليالي تلك وأنت عائد من مهمة تقود كوكبة الفرسان تحت صمت الفجر حين عوت أشباح الليل تكشر عن أنيابها الحادة وتشهر أسلحتها

---

[11] هناء عبد الفتاح: أصول التجريب في المسرح المعاصر النظرية والتطبيق، مجلة فصول، المجلد 14، ع1، 1995، ص.347

[12] .بوشوشة بن جمعة: التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي، ص

البيضاء والسوداء وهي تتلفح بأردية الضباب الرمادية..كنتم عند حدود المدينة على الطريق البحري الملتوي وكانوا وحوشا تتربص بسرب الغزلان الذي ينشر الوداعة ويأمل بالأمن".[13]

لقد تبنت الكاتبة جميلة زنير فكرة الثورة وجعا نفسيا وفكريا ووجهة إيديولوجية لتعبر عن مأساة الراهن المؤلمة وهي تصور بلغتها الصادقة الشفافة سياسة الاغتيالات الهوجاء التي سددت طعناتها الغادرة في مرمى الوطنيين المخلصين في حياتهم ومماتهم، فلم تسلم أرواحهم من التنكيل بجثثهم الطاهرة، وتطرح القاصة هذه الفكرة معجونة بالحيرة والوجع بمآل الوضع الأمني في البلاد وانفلاته، ومع ذلك تطرح البديل وتشير إلى الحل المثالي للخروج من الأزمة بمواجهة الخوف ومجابهة قوى الظلم والهمجية بكل الوسائل ويظهر ذلك من خلال تصويرها لحدث حراسة قبر سي الطيب بعدما اشتبه الناس في بعض الوجوه كانت تحوم حول حماه" لقد وضع وحوش الليل طقوسا أخرى للموت وأنت لا تدري فبمجرد انصراف الحشد والصمت يطبق على المدافن حتى رأى الحارس أغرابا يحيطون بضريحك، فأحس أن هناك أشخاصا يتربصون بالجثمان وتملكه الذعر من أن ينبشوا القبر وينكلوا بك ويقطعوا رأسك ويعلقوه في مكان ما من المدينة وأعلنت حالة الطوارئ لموت آخر"[14]

إن سياسة المواجهة والرفض لكل انفلات أمني وخلقي هو أهم ما دعت إليه الكاتبة من خلال تصويرها مأساة الجزائر في العشرية الدموية، وهي ثورة فكرية أخرى تضاف إلى ثورات الجزائر الخالدة، ولا بديل عن المواجهة لبناء جزائر جديدة تنعم بالأمن والاستقرار، فخطاب أصوات المدينة هو خطاب ثوري بامتياز ينتصر للحداثة بوصفها النموذج الفكري والسياسي الذي يمكن أن يفتح المجال أمام النهضة الوطنية، كما يشتغل على مخزون الذاكرة التاريخية، ويعتمد على قاموس وجداني يستند إلى لغة البوح والمشاعر والانفعالات.[15]

5/ثورة اللغة والصراع الإديولوجي في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

إن رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي من أبرز الروايات التي وظفت الثورة التحريرية الكبرى توظيفا جماليا وإيديولوجيا ،إذ شكلت الثورة القاعدة الأساسية لانطلاق الأحداث الروائية ، كما شكلت هذة الرواية ثورة على اللغة السردية وجنحت للحكي الشعري ، فكانت رائعة سردية تناولتها أقلام نقدية فاعلة ولامعة تشيد بجمالية لغتها الشعرية وبنائها السردي المتفرد ؛فعندما "نتأمل الرواية(ذاكرة الجسد)نتبين أن الكاتبة وهي تكتب روايتها تحكي الثورة الجزائرية ، وتحكي قصة الجزائر مابعد ا لثورة ،وتنأى بلغتها عن لغة الواقع والموضوع والمرجع ، وتعمد إلى قاموس

---

[13]جميلة زنير: الأعمال القصصية، ص .241

[14]المرجع نفسه، ص.244

[15]زهرة كمون: الشعري في روايات أحلام مستغانمي، ط1، دار صامد للنشر والتوزيع، 2007، ص .67

وجداني ، وهي مفارقة بين طبيعة الحكاية وطبيعة الخطاب ،فهي تفرط في استخدام القاموس الوجداني ، إنها ترسم صورة الواقع بلغة مغرقة في الوجدانيات فتكسب اللغة شعريتها من خلال تلبيسها بالطابع الوجداني .[16]

تقدم أحلام مستغانمي ثورة نوفمبر الخالدة من زاوية المهمش والمسكوت عنه ،فتنبش في الذاكرة لاستخراج الحقيقة المغيبة في كتب التاريخ لا من التاريخ نفسه ، وإنما من ثقوب التاريخ وثغراته التي يعلن عنها الواقع الجزائري بعد الاستقلال ،ويعريها الواقع السياسي والاجتماعي الذي يبرز التناقض الصارخ بين الطبقات الاجتماعية [17]،تلك الزوايا المظلمة التي أخرجت الثورة من قدسية لا يمكن المساس بها إلى واقع إنساني يمثله بشر يخطئون ويصيبون ،واقع يمكن قراءته من سراديبه المدجية والمهمشة وقضاياه المحرمة ؛المرأة و الدين والسياسة .

إن النقد الذي تقدمة الرواية ليس نقدا

موجها للثورة في حد ذاتها ، فهي ثورة شعبية عالمية ملهمة لكل شعوب العالم ، لكن النقد موجه للمسؤولين الانتهازيين أمثال سي الشريف ،الذين يسرقون الوطن ويفسدون ، ويخربون باسم الثورة والشهداء ،وحتى يخونون الوطن ويحرفون الحقائق ويزورون التاريخ لأجل مصالحهم ومصالح أبنائهم من بعدهم ،في حين يهمش الوطنيون الأحرار ويلغى تاريخهم البطولي ،أولائك الذين ضحوا بأنفسهم دفاعا عن كرامة وحرية الوطن أمثال سي الطاهر ، وخالد بن طوبال الذي فقد يده في سبيل خلاص الأرض والوطن ،هذا الألم الذي لم يهضمه البطل خالد وعبر عنه بمرارة :"يوم كنت شابا بحماسة وعنفوانة ،وتطوف أحلامه أنه سيأتي بعد ربع قرن يوم عصيب كهذا ، جردني فيه جزائري مثلي من ثيابي ، حتى من ساعتي وأشيائي ، يزج بي في زنزانة فريدة ،هذه المرة زنزانة أدخلها باسم الثورة ،هذه الثورة التي سبق وأن جردتني من ذراعي ...اليوم لا شيء يستحق تلك الأناقة واللياقة الوطن نفسه أصبح يخجل أن يبدو أمامنا في وضع غير لائق[18] " وهنا يظهر الصراع الإيديولوجي بين الشخصيات الثورية ؛شخصيات وطنية تضحي بكل شيء لأجل الوطن ولا تستفيد منه في أدنى شيء ، وأخرى تنهب الوطن باسم الثورة ورموزها ، وتأخذ كل شيء ،إلا الوطنية .حيث استفاد سي مصطفى من اللقب الثوري وتحول إلى انتهازي همه الوحيد تحصيل الأموال وتسلق المناصب متجاوزا ميثاق الثورة وعهود الشهداء "كان سي مصطفى صديقا مشتركا لي ول سي الشريف منذ أيام التحرير ، فقد كان ضمن المجموعة التي كانت تعمل تحت قيادة سي الطاهر ، بل وكان واحدا من الجرحى الذين نقلو ا معي للعلاج في تونس ..كان يومها بشهامة وأخلاق نضالية عالية وكنت في الماضي أكن له احتراما و وداكبيرين ثم ثلاثى تدريجيا رصيده عندي ....مثل من سبقوه إلى تلك المناصب الحلوب التي تناوب عليها

---

[16]المرجع نفسة ، الصفحة نفسه

[17]علال سنقوقة: إشكالية السلطة في الرواية الجزائرية ص 79

[18]أحلام مستغانمي ، ذاكرة الجسد،ط1،منشورات الأبيار، الجزائر,2004ص343،

البعض بتقسيم مدروس للوليمة "[19]، والحال نفسها مع سي الشريف الذي باع تاريخ أخيه الحافل بالبطولة والتضحية لأجل المناصب بعدما قدم ابنة أخيه حياة ابنة الشهيد سي الطاهر قربانا لتسلقاته السياسية التي زينت له مصاهرة (السي..) لينظف اسمه بتاريخ سي الطاهر ، وليس رغبة فيها ، ولم تضع الكاتبة له اسما دالا في إشارة منها الانتهازية والفساد الذي يتصف به ،وقد جاء ذلك على لسان البطلة وقد أعيتها الحيل في التملص من صفقة قذرة ،فهو "يبيع بزواجها اسم أخيه ، وأحد كبار شهدائنا مقابل منصب وصفقات أخرى ، وأنه يتصرف باسمه بطريقة لم يكن ليقبلها لو كان حيا "[20]

خاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن القول إن السرد النسوي الجزائري يتكئ على معطيات كثيرة، ويستمد وهجه من الواقع المعيش والذاكرة التاريخية للجزائر ولا يكاد ينفصل عنها، فكل حديث وجديد لابد أن ينهل من معين سابقه قراءة ونقدا وتغييرا وذلك من أجل تشكيل نص إبداعي حداثي متفرد يجسد الخصوصية الإبداعية لكل كاتبة وأسلوبها المتباين في الكتابة القصصية.لتبقى الثورة المرجعية الثابتة للمبدعة الجزائرية في كتاباتها السردية .

يظهر الالتزام بقضايا الثورة جليا في الكتابة السردية عند زهور ونيسي من حيث تسجيل الأحداث الثورية و الدفاع عن قضايا الثورة المقدسة التي لا نقاش فيها ،ولذاك طغى الجانب التسجيلي والاشتغال على المضمون أكثر من الإشتعال على اللغة .

أما بالنسبة لجميلة زنير وأحلام مستغانمي فقد كان استثمار المرجعية التاريخية للثورة الجزائرية استثمارا لغويا بالدرجة الأولى،يعتمد على الانفعال والتأثير في قراءة الواقع لا من خلال تسجيلها والتغني بقداستها وإنما من خلال انتقادها وإعادةاستثمارها لتجاوز الأخطاء والمضي قداما نحو تحقيق الذات وبناء الوطن ودرء كل ما ينافي ذلك .

---

[19] المرجع نفسه

[20] المرجع نفسه